﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ٨٧﴾ [النساء: 87]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

في مُنَاسَبَةِ هذهِ الآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا ثلاثةُ أوجهٍ:

أحدُها: أنَّ اللهَ تعالَى لَمَّا ذكرَ الإنذارَ والوعيدَ في الآيةِ السَّابقةِ في قولِه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ حَسِيبًا﴾؛ أكّدَ هذا الوعيدَ في هذهِ الآيةِ بالجمعِ بينَ التَّوحيدِ والعدلِ، فإنّ مقتضى التَّوحيدِ والعدلِ أنْ يأخذَ كلُّ ذي حقٍّ حقّهُ، والمرجعُ يوم القيامةِ، فجمعَ بينَ التَّوحيدِ ويومِ القيامةِ اللّذين أنكروهما.

ثانيها: أنَّ الآيةَ السَّابقةَ لَمَّا كانت في بيانِ أنَّ مَنْ عاملَ المسلمينَ بالظَّاهرِ، فحيّاهُم، فالواجبُ أن يعاملُوهُ بناءً على الظَّاهرِ، فَيَردُّوا عليه بأفضلَ مِنْ تحيّتِه؛ ناسبَ أنْ تأتيَ هذهِ الآيةُ للإشارةِ إلى أنّ البَوَاطِنَ إنَّمَا يَعرِفُهَا اللَّهُ الَّذي لَا إِلَهَ إِلَّا هُو، وإنَّمَا تَتكَشفُ بَوَاطِنُ الخَلقِ لِلخَلقِ يَومَ القِيَامَةِ؛ تنبيهًا على أنَّ اللهَ لا يُحبُّ أنْ يغترَّ المنافقُ بهذا، وليُتحقَّقَ أنَّ اللهَ له بالمرصادِ[1].

ثالثُهَا: أنَّ اللهَ تعالَى لمّا أمرَ ونَهَى فيما قبل؛ بيّنَ بعدُ أنّه لا يستحقُّ العبادةَ سواه، ليعمَلُوا على حسب ما أوجبَه عليهم، وأشارَ إلى أنّ لهذا العملِ جزاءً بِبَيَان وقتِه، وهو يومُ القيامةِ؛ ليجدُّوا فيه ويرغبُوا ويَرْهَبُوا[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ﴾: جذرُ هذه الكلمةِ: الجيمُ والميم والعَيْنُ، وهو دالٌّ عَلَى تَضَامٍّ أشياءَ متجانسةٍ كثيرةٍ، يُقَالُ: جَمَعْتُ الشَّيْءَ جَمْعًا، بمعنَى: ضَمَمْتُ بعضَه إلى بعضٍ، ومنهُ: جمعُ المالِ، وجمعُ النَّاسِ، ولا يكونُ الجمعُ إلّا بعدَ تفرّقٍ، ويُقال: جمعَ اللهُ القُلُوبَ؛ أي: ألَّفَ

(1) الرَّاغب، تفسير الراغب: 3/1372، والرازي، مفاتيح الغيب: 10/167.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 3/102.

بينَهَا، وجمعَ فلانٌ أمرَه: عزمَ عَلَيهِ، وَجمعَ عَلَيهِ ثِيَابَه: لَبِسهَا، وأَجْمَعَ المسلمونَ على كذَا: اجْتَمَعت آراؤُهم عليه، وَسُمّيَ يَومُ الجُمُعَةِ كذلكَ؛ لاجتماعِ النَّاسِ فيه[1]، ويندرِجُ تحتَ هذا المعنَى الكلّيِّ لمادَّةِ (جمعَ) قولُه تعالَى: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ في الآيةِ؛ فإنَّ معناهُ: لَيَضُمَّنَّ اللّهُ تعالَى النَّاسَ جميعًا فيبعثهم مِن بعد موتهم، ويَحشرُهم إلى موقفِ الحسابِ[2].

2) ﴿ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: أصلُ الكلمةِ: القافُ والواو والميم، وهذا الأصلُ دالٌّ على معنَيَيْنِ كُلّيَّيْنِ، أحدُهما: دالٌّ على جماعةٍ من النَّاسِ، والآخَرُ - وهو المرادُ هنا - دالٌّ على انتصابٍ، والقيامةُ: أصلُها ما يكونُ مِن الإنسانِ من القيامِ دفْعَةً واحدةً، والتاءُ فيها لِلمبالغةِ؛ تنبيهًا على وقوعِها دفعَةً، وهو اسمٌ غلبَ على يومٍ يبعثُ اللّهُ تعالَى عبادَهُ لِحسابِهم؛ وسُمِّيَ بذلك لثلاثةِ أوجهٍ:

أحدها: أنَّ النَّاس يقُومُون فيهِ مِنْ قُبُورِهم للّهِ سُبحانه، كما قالَ اللّه تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٦﴾ [المطففين: 6].

ثانيها: أنَّه تُقَامُ فيهِ الأشهاد، كما قال اللّهُ تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ۝٥١﴾ [غافر: 51].

ثالثُها: أنَّه يُقَامُ فِيهِ الْعَدْلُ، كما قال اللّه ﷻ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ [الأنبياء: 47][3].

3) ﴿رَيْبَ﴾: الرّيبُ: هو الشكُّ معَ التُّهمة، ويُطلق على الشكِّ مع الخوفِ، فالرّيبُ أخصُّ مِنَ الشكِّ، ومنه قولُهُم: رَابَه الأَمرُ؛ إِذَا أَدخَلَ عليهِ شَكًّا وَخَوفًا، وظاهرُ كلامِ الرَّاغبِ أنَّ الرَّيبَ لا يُطلَقُ إلّا إذا وقعَ بعدَهُ انكشافٌ أو تُوقِّعَ أنْ يكونَ بعدَهُ انكشافٌ، بخلافِ الشَّكِّ، وَتقولُ العربُ: رَيْبُ الدَّهْرِ؛ أي: صُرُوفُهُ وحوادثُه[4]، وقولُ اللّه تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، معناه: لا شكَّ فيهِ في نفسِه، وحقيقةِ أمرِه، وإنْ ارتابَ فيه الكَفَرةُ فَغيرُ ضائرٍ[5].

(1) ابن دريد، جمهرة اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، والزَّبيدي، تاج العروس: (جمع).
(2) ابن جرير، جامع البيان: 8/592.
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، والرَّاغب، مفردات ألفاظ القرآن، والسمين، عمدة الحفاظ: (قوم)، وابن عثيمين، شرح الأربعين النووية، ص: 356.
(4) الأزهريّ، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، والرَّاغب، المفردات: (ريب).
(5) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/88.

4) ﴿أَصْدَقُ﴾: الصَّاد والدَّال والقافُ تدورُ تصاريفُهَا عَلَى قُوَّةٍ في الشَّيءِ قولًا كان أو غيرَهُ، ومِنْهُ: الصِّدْقُ، وهو ضدُّ الكَذِب، وإنَّما سُمِّيَ الصّدقُ صِدْقًا؛ لِقُوَّتِهِ في نَفسِهِ، ولأَنَّ الكَذِبَ لَا قُوَّةَ لَهُ فهُوَ بَاطِلٌ[1]، والصّدقُ في حقيقتِه أن يكونَ ما يجري على لسان المُخبر موافقًا لما في قلبه، وللأمرِ المخبرِ عنه في وجُودِه[2]، ومعنَى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾: لا أحدَ أكثرُ صدقًا من اللهِ، فإنَّهُ لا يقعُ في خبرِه كَذِبٌ بوجهٍ[3].

5) ﴿حَدِيثًا﴾: أصلُ الحاءِ والدَّالِ والثَّاءِ تدورُ اشتقاقاتُهُ حولَ كَوْنِ الشَّيءِ الذي لَمْ يَكُنْ، ويُطلَق على كلِّ ما قَرُبَ عهدُه أنَّهُ مُحدَثٌ، والحديثُ: الكَلامُ، وَسُمّيَ القرآنُ حديثًا كمَا قالَ تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ [الزمر: 23]؛ لِقُرب عهدِ إنزالِه، وكلُّ كلامٍ يبلغُ الإنسانَ من جهةِ السَّمعِ أو وحيِ الإلهامِ في يقظتِه أو منامِه يُقال له: حديثٌ[4]، والحديثُ: هو الكلامُ الذي يُتحدّثُ به فينتشرُ وَيظهرُ معَ قربِ عهدِهِ بقائلِه، ومنهُ قولُه ﷻ: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾ [سبأ: 19]؛ أي: أخبارًا يُتمثَّلُ بهم، فإنْ لم يقيّدْ بهذهِ الصِّفةِ بأنْ يُنظرَ إلى ذاتِه فهو كلامٌ، ولهذا سَمّى اللهُ تعالى هنا كلامَه حديثًا؛ لأنَّه في سياقِ الحكمِ على ما يُتَحَدَّثُ به بالنَّظرِ إلى قائلِه بالصِّدقِ أو غيرِه، والمعنى في الآيةِ: لا أَحدَ أصدقُ مِنَ اللهِ تعالَى خَبَرًا[5].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

اللهُ تعالى هو المتفرّدُ بالألوهيَّةِ، والمعبودُ الذي لا تنبغي العبادةُ إلَّا لَه، لَيَبعَثَنَّكم مِنْ بعدِ مماتِكم، ولَيَحشُرَنَّكم جميعًا يومَ القيامةِ، فلا تشكُّوا في صحّة ذلك، ولا تَمتَروا في حقيقتِه؛ إذْ لا أحدَ أصدقُ مِنَ اللهِ تعالَى حديثًا فيما أَخبرَ بِه، وقدْ جمعتْ هذهِ الآيةُ تَمْجِيدَ اللَّهِ، وَتَهْدِيدًا، وتحذيرًا لِمُخَالِفِ أَمْرِهِ، وتَقريرًا لِلإِيمَانِ بِيَومِ البَعثِ، وَرَدًّا لِإِشرَاكِ بَعضِ المُنَافِقِينَ وَإِنكَارِهِمُ البَعثَ[6].

(1) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، والفيومي، المصباح المنير: (صدق).
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/88.
(3) الرّاغب، تفسير الراغب: 3/1373.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ: (حدث).
(5) أبو حيان، البحر المحيط: 4/7.
(6) ابن جرير، جامع البيان: 8/592، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 5/148.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دِلَالَةُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ﴾ بَيْنَ الْإِخْبَارِ وَالِاعْتِرَاضِ:

أُلُوهِيَّةُ اللهِ تَعَالَى تَتَضَمَّنُ رُبُوبِيَّتَهُ، وَرُبُوبِيَّتُهُ سُبْحَانَهُ تَسْتَلْزِمُ أُلُوهِيَّتَهُ

تحتملُ هذهِ الجملةُ أنْ تكونَ خبرًا للمبتدأ ﴿ٱللَّهُ﴾، وأنْ تكونَ اعتراضيةً[1]، ويتنوّعُ المعنى لِتنوّعِ الخبرِ.

فعلى الأوَّلِ هي إخبارٌ عن اللهِ تعالَى بمضمونِ جملةِ التَّوحيدِ؛ لِتقريرِ معنى التَّوحيدِ وتأكيدِهِ، معَ الدَّلالةِ على ثبوتِ مضمونِ جملةِ المبتدأ والخبرِ واستمرارِه؛ لِدلالةِ الجملةِ الاسميَّةِ على الثُّبوتِ، وحينئذٍ يُشعِرُ مضمونُ جملةِ المبتدأ والخبرِ بأمرين:

أحدُهما: توبيخُ المنافقين الذين يُبطنونَ خلافَ ما يُظهرونَ.

والآخَرُ: الإيذانُ بأنَّ مُقْتَضى أنْ يكونَ اللهُ لا إلهَ إلَّا هوَ، أنْ يكونَ قادرًا على أنْ يجمعَ النّاسَ يومَ القيامةِ، ففيهِ استدلالٌ واحتجاجٌ؛ لأنَّ ألوهيَّةَ اللهِ تعالى تتضمَّنُ ربُوبيَّتَهُ، كما أنَّ ربوبيَّتَهُ سُبحانه تستلزِمُ ألوهيَّتَهُ، ولِهذا تضمّنَ الكلامُ تأكيدًا، وفي هذا الوجهِ توبيخٌ أيضًا لِمَنْ لا يُقِرُّ بقدرةِ اللهِ سُبحانَهُ على جمعِ النّاسِ يومَ القيامةِ، لِوضوحِ الأمرِ وظهورِهِ بعدَ إثباتِ التَّوحيدِ، وممَّا يؤكّدُ ذلك مجيءُ جملةِ الخبَرِ في ثَوْبِ القَصْرِ الحقيقيّ التّحقيقيِّ، وبأشدّ طُرُقِ القَصرِ صَراحةً وأقواها، وهُوَ النّفيُ والاسْتِثْناءُ؛ فلا معبودَ بحقٍّ سِواه، ولا مُستحقَّ للألوهية غيرُه.

وإذا جعلنا قولَهُ: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ﴾ خبرًا لِلاسْمِ الأحسنِ (اللهِ)؛ فإنَّ جملةَ القسمِ تكونُ خبرًا ثانيًا، وَالمعنى: اللهُ سُبحانَهُ المتفرّدُ بالوحدانيةِ قادرٌ على جَمعِكُم يومَ القيامةِ الآتي لا محالةَ.

وعلى الوجهِ الآخَرِ، وهو أنْ تكونَ جملةُ التَّوحيدِ اعتراضيةً، فيكونُ الخبرُ ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾، ونكتةُ الجملةِ الاعتراضيَّةِ

(1) الزمخشري، الكشاف: 1/545، والرازي، مفاتيح الغيب: 10/167، وأبو حيّان، البحر المحيط: 4/6.

هنا: بيانُ عِظَمِ قدرةِ اللهِ تعالَى على جمعِ النَّاسِ كلِّهم يومَ القيامةِ، والتَّنبيهُ على أنَّ اللهَ سُبحانَهُ الذي سيُخبرُ عنه بأنّه يجمعُ العبادَ إلى يوم القيامة هو الذي لا إلهَ إلَّا هو، وفي الاعتراضِ تخصيصُ توحيدِ اللهِ بمزيدِ تأكيدٍ؛ بعدَ إشعارِ المبتدأ ﴿ٱللَّهُ﴾ بالألوهيَّةِ.

وهذانِ الوجهانِ في محلِّ جملة ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ﴾ صحيحَانِ في أنفُسِهِمَا، وتتنوَّعُ المعاني القرآنيَّةُ تبعًا لاختلافِ حمل الجُمْلَةِ على أحدِ ذَيْنِكَ الوجهين، وفي هذا توسيعٌ لِلْمَعَاني وتكثيرٌ لَهَا، مَعَ ما تضمَّنَتْهُ الآيةُ من إيجازٍ في اللَّفْظِ، وحذفِ المُقسَمِ به وأداةِ القَسَمِ للعلم بهما.

دِلَالَةُ حَرْفِ الْجَرِّ ﴿إِلَىٰ﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾، وَمَا يَتَفَرَّعُ عَلَيْهِ مِنَ التَّضْمِينِ وَالِاسْتِعَارَةِ التَّبَعِيَّةِ:

تَصْوِيرُ حَالِ اسْتِمْرَارِ جَمْعِ الْخَلْقِ زَمَانًا وَمَكَانًا

في حرفِ الجرِّ ﴿إِلَىٰ﴾ من قولِ اللهِ تعالى: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ وجهانِ:

أحدُهُمَا: أنْ تكونَ على أصلِ دِلالَتِهَا، والمعنى: لَيَجمَعَنَّكم في القُبورِ إلى يوم القيامةِ، وإمّا على تَضْمِين الفعلِ ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ معنَى: لَيَحْشُرَنَّكُم؛ فلذلكَ حسُنتْ بعدَه ﴿إِلَىٰ﴾، لِيكونَ المعنى: لَيَسُوقَنَّكُم إلى يومِ القيامةِ.

والآخَرُ: أنْ تكونَ ﴿إِلَىٰ﴾ بِمَعْنَى (في)، والمَعنى: لَيَجْمَعَنَّكُم في يومِ القيامةِ[1].

ويمكنُ الجمعُ بينَ هذينِ المَعْنَيَيْنِ، وذلك أنَّهُ لمّا اقْتَضَى ﴿إِلَىٰ﴾ في الأصْلِ: معنَى المسافةِ والامتدادِ إلى نهاية الغايَةِ؛ أفادَ التّعبيرُ بِهَا معنى السّوق والتّجميع زمانًا ومكانًا، فيكونُ الضّمُّ والسَّوْقُ من بدءِ

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/88، والرّازي، مفاتيح الغيب: 10/167، وأبو السّعود، إرشاد العقل السليم: 2/211.

الخَلْقِ ومن جميع الأمكنةِ، وينتهي الجمعُ بانتهاء الغايةِ، وهو يومُ القيامة، فهو تَصْويرٌ لحالِ اسْتِمْرَارِ الجَمْعِ، وقرّرَ مجموعَ هذا التّصويرِ صيغةُ المضارعِ المؤكَّد ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾؛ لإفادة أنَّ الجمعَ مستمرٌّ غيرُ منقطعٍ حالًا فحالًا.

وإيضاحُ ذلك: أنّ لِحَرْفِ الجرّ ﴿إِلَىٰ﴾ موقعًا بديعًا هنا، فإمّا أن يكونَ مُلْمِحًا إلَى أنّ النّظم ضمَّنَ فعلَ الجَمْعِ معنَى الحَشرِ، وأبقى حرفَ الانتهاءِ دليلًا، أَوْ أنَّ ﴿إِلَىٰ﴾ مستعمَلٌ لمعنَى (في)، فيكونُ يومُ القيامة غايةَ الجمعِ ومكانَه في آنٍ واحدٍ، ويكونُ في هذا مِنَ الإيجازِ البالغِ، ويكونُ المجازُ بالاستعارة واقعًا في الحرفِ؛ إذْ شُبِّهَ الوعاءُ الجامعُ بالغايةِ الجامعةِ بجامعِ الإحاطةِ والشّمول في كلٍّ، وذلك على طريقةِ الاستعارَةِ التَّصريحيَّةِ التَّبعيَّةِ.

وأمَّا إذا حُمِلَتْ ﴿إِلَىٰ﴾ في الآيةِ على بابِهَا، فيكونُ في الكلامِ حذفٌ؛ إسراعًا إلى الغايةِ الّتي يكونُ فيها الحسابُ، تناسبًا مع قولِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾ [النساء: 86]، ويكونُ تقديرُ المعنى: ليَجمَعَنّكُم في القُبُورِ إلى يَومِ القيامَة.

دِلَالَةُ التَّوْكِيدِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِۗ﴾:

الْمُبَالَغَةُ فِي تَقْرِيرِ الْإِيمَانِ بِالْمَعَادِ؛ لِكَوْنِهِ مِنْ أُصُولِ الْإِيمَانِ الْعِظَامِ

لَمَّا كَانَ الاعتقادُ بالحَشرِ يومَ القيامة من أهمِّ أصول الإيمانِ، وكانَ جَائِزًا بِالعَقلِ، وَاجِبًا بِالسَّمعِ، ومقامُ الاستدلالِ يحتاجُ إلى تقريرٍ وتثبيتٍ، ولإبطَالِ إنكَارِ الَّذِينَ أَنكَرُوا البَعثَ؛ أُكِّدَ الكلامُ بأربعةِ مؤكِّدَاتٍ متنوّعةٍ، هي:

أوَّلًا: تأكيدُ مَضْمُونِ جُملةِ ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ بالقَسَمِ المحذوفِ قَبلَهُ[1] الّذي دلّتْ عليه لامُ القسمِ، وهو أقوى المؤكِّداتِ.

ثانيًا: تأكيدُ فعلِ الْجَمْعِ ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ بِنُونِ التَّأكيدِ الثَّقيلةِ.

ثالثًا: تأكيدُ الحكمِ الّذي تدلُّ عليه جملةُ المبتدأ والخبرِ بِتَقديمِ المُسنَدِ إلَيهِ ﴿ٱللَّهُ﴾ عَلَى الخَبَرِ الفِعليِّ ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ - على القولِ

(1) الزّجاج، معاني القرآن: 2/88 والواحدي، التفسير الوسيط: 2/91، ورضا، تفسير المنار: 5/258، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 5/148.

بخبريَّةِ الفعلِ - ؛ لِتَقويَةِ تَحقيقِ هَذَا الخَبَرِ؛ لِمَا يفيدُه تقديمُ المسندِ إليه على المسندِ الفعليِّ مِنْ تقويةِ الحكم[1]، ووجهُ التَّقويةِ ما في هذا التَّركيب من تكرارٍ للإسنادِ، فإنَّ الجَمْعَ مسنَدٌ إلى الاسْمِ الأحسَن (الله) الذي صُدِّرت الآيةُ به، وأُسنِدَ فعلُ الجَمْعِ أيضًا إلى الضَّميرِ الْمُسْتَتِرِ في ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾، فلمَّا تكرَّر الإسنادُ كان تَقْوِيَةً لِمَضْمُونِ الْجُمْلَة.

رابعًا: تأكيدُ مَضْمُونِ جملةِ ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ بالجُملَةِ بَعدَهُ في قولِه: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[2].

دِلَالَةُ النَّفْيِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾:

ثُبُوتُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ مُقْتَضَيَاتِ أُلُوهِيَّةِ اللهِ تَعَالَى وَعَدْلِهِ

النَّفيُ في قولِه تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ يَحْتَمِلُ أنْ يكونَ الْمُرَادُ نَفْيَ أَنْ يَتَطَرَّقَ جِنْسُ الرَّيبِ والشَّكِّ لِمَجيءِ يوم القِيَامَة، إذْ إنَّ يومَ القيامَةِ ممّا لا يَنْبَغِي أنْ يقعَ شكٌّ فيه؛ لِمقتضَى أنَّ اللهَ لا إلهَ إلَّا هوَ، والمقصودُ: نفيُ الرَّيْبِ عَنْهُ وإنْ ارتابَ فيهِ الكَفَرَةُ؛ فإنَّ ارتيابَهُمْ غَيْرُ ضائرٍ.

ويجُوزُ أنْ يكونَ النَّفيُ متوجِّهًا إلى الّذينَ يشكُّونَ في حقيقةِ يومِ القيامةِ، بمَعْنَى: أنَّ ارْتِيَابَ الْمُرْتَابِينَ لِوَهَنِهِ نُزِّلَ مَنزِلَةَ الجنسِ المَعدُومِ؛ فإنَّ مُقْتَضَى التَّوحيدِ والعدلِ أنْ يَجمَعَ اللهُ تعالَى الأَوَّلِينَ والآخِرِينَ في عَرَصَاتِ القِيَامَةِ، فَيَنتَصِفَ لِلمَظلُومِينَ مِنَ الظَّالِمِينَ[3].

ويجوزُ أن يكون قوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ جملةً خبريَّةً لفظًا، إنشائيةً معنًى، والمرادُ: لا ترتابوا فيه، فتكون الجملةُ مَجَازًا مرسلًا مركَّبًا، والنُّكْتَةُ فيه: أنَّ إخراجَ النَّهي في صورة الخبرِ أبلغُ مِنْ صريحِ النَّهي؛ لأنَّهُ صُوِّرَ كأنَّه سُورع فيهِ الامْتِثَالُ وأُخْبِرَ عَنْهُ[4].

تَعْيِينُ مَرْجِعِ الضَّمِيرِ فِي ﴿فِيهِ﴾ مِنْ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾:

مرجعُ الضَّميرِ في ﴿فِيهِ﴾ من قول اللهِ تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ يحتَمِلُ أوجُهًا:

(1) السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 221.
(2) أبو حيان، البحر المحيط: 4/7.
(3) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/88، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 10/167، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 5/148.
(4) السيوطي، معترك الأقران: 1/195.

الإيمَانُ بِاللهِ تَعَالَى يَسْتَلْزِمُ الإيمَانَ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ مِنَ الْبَعْثِ وَالْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ

أَوَّلُهَا: أَنْ يعودَ الضَّميرُ إلى ﴿يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾، والمعنى: لا ريبَ في يوم القيامةِ؛ لأَنَّ المشركينَ لم يقِرُّوا بيَوْمِ القيامَةِ أصلًا، ويَسْتَتْبِعُ ذلكَ أَنْ لَا يُقِرُّوا بتفاصيلِهِ؛ مِنَ البعثِ والحشْرِ، فتَنْفِيُ الرّيبِ متوجّهٌ إلى يومِ القيامَةِ أوَّلًا وبالذّاتِ، ثمَّ إلى الْجَمْعِ والحشرِ والمُجازاةِ ثانيًا وبالتَّبعِ.

ثانيهَا: أَنْ يعودَ الضَّميرُ على مَصْدَرِ الْفِعْلِ ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾؛ وهو الجَمْعُ، والمَعْنَى: لَا ريبَ في الجَمْعِ - وهو البعْثُ - يومَ القيامة[1].

ثالثُهَا: أَنْ يعودَ على المفهومِ مِنْ مُجْمَلِ الْخَبَرِ الواردِ في الآيةِ، وهو ظاهر اختيارِ ابنِ جريرٍ[2]، والمعنى: لا ريبَ في ما أحدِّثُكم به؛ ولِهذا أردَفَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾.

وهذه المعاني المحتَمَلَةُ كلُّها متقاربةٌ؛ لأنّ مَنْ آمنَ بيومِ الْقِيَامَةِ وأنَّهُ كائنٌ؛ آمنَ بتوابعِهِ منَ الْبَعْثِ والحَشْرِ والجزَاءِ، ومَنِ اعتقدَ صِدْقَ كلامِ اللهِ تعَالَى؛ آمنَ بيَوْمِ القيامةِ والْحَشْرِ فيهِ؛ لأَنَّهُ مِمَّا أخبرَ اللهُ سُبحانَهُ عَنْهُ.

دِلَالَةُ التَّقْيِيدِ بِالْحَالِ أَوِ الصِّفَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾:

إِزَالَةُ الشُّبُهَاتِ الْحَائِلَةِ بَيْنَ النَّاسِ وَبَيْنَ إِيمَانِهِمْ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ

قولُ اللهِ تعالَى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ يحتملُ أَنْ تَكُونَ جملةً حاليَّةً مِنْ ﴿يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾، إذا كانَ الضميرُ في ﴿فِيهِ﴾ عائدًا إلى يومِ القيامةِ، والمعنى: لَيَجْمَعَنَّكُم في يومِ القيامةِ حالَ كونِ ذلك اليومِ ممّا لا يَنْبَغِي أَنْ يُشَكَّ فيه؛ لِمقتَضَى التَّوحيدِ والعدلِ، فَفِيهِ توبيخٌ لِلمنافقينَ الكفّارِ لإنْكَارِهِم يومَ القِيَامَةِ؛ إِذْ يَقْتَضِي إنكارُه أَنْ لا جَمْعَ للنَّاسِ أصلًا، فَلا شَيْءَ بعدَ الموتِ؛ ولذا ناسبَ التَّأكيدُ المقامَ.

ويجُوزُ أن يكونَ قولهُ سُبحانَهُ: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ صفةً لِمَصْدَرٍ

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 7/4، والسمين، الدر المصون: 4/59، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 2/88.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 8/592.

مَحْذُوفٍ، إذا كانَ الضَّمير عائدًا إلى الْمَصْدَرِ المفْهُوم مِن ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾، والتَّقْدِيرُ: لَيَجْمَعنّكم إلى يوم القِيَامَةِ جَمْعًا لا رَيْبَ فيهِ؛ لِيَكُون نَفْيُ الرّيبِ موجَّهًا إلى الجَمْعِ، على اعتبارِ أنَّهم كانوا يشكّونَ في قدرةِ اللّهِ تعالَى على جمعِ النّاسِ كُلّهم يومَ القيامةِ.

والحاصِلُ أنّ الرّيبَ إمّا أن يقعَ في الجمعِ لِكَثْرَةِ مَا يكونُ مِنَ العَدَدِ، فتَكُونُ الجملةُ صفةً تبيّنُ المعنَى وتقرّرُه، ويكونُ الموصوفُ مَحْذُوفًا، والتَّقْدِيرُ: جَمْعًا لا رَيْبَ فِيهِ؛ دَفْعًا لتوهّم عدمِ القدرة على ذلكَ بسببِ كثرة العددِ، فتكون جملةُ ﴿لَا رَيْبَ فِيهِۚ﴾ جَارِيَةً مجْرَى الإطنابِ بالاحتراسِ.

وإما أن يكونَ الشّكُّ متوجِّهًا لذاتِ يومِ القيامةِ، فتكونُ الجملةُ حالًا مِن ﴿يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾، والمعنى: يومُ القيامة غيرُ مشكوكٍ في وقوعِه، أو ممّا ينبغي أن يكونَ كذلك؛ لِتَظَاهُرِ الأدلّةِ العقليّةِ والنّقليةِ والبراهينِ الكونيّةِ على وقوعِه، فوقعت الجملةُ هذا الموقعَ؛ تأكيدًا لِحُصُولِ اليومِ وتحقّقِ الجَمْعِ، وهذا إيجازٌ وفيرُ المَعْنَى.

دِلَالَةُ التَّعْبِيرِ عَنِ الْيَوْمِ الْآخِرِ بِـ ﴿يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾:

التَّنْبِيهُ عَلَى عَظِيمِ قُدْرَةِ اللهِ تَعَالَى فِي بَعْثِ النَّاسِ وَحِسَابِهِمْ

سُمِّيَ اليوم الآخرُ يومَ الْقِيَامَةِ لأوجهٍ:

أوَّلها: أنَّ النَّاسَ يقومونَ من قبورِهم للحسابِ، كما قال اللّه تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٦﴾ [المطففين: 6].

ثانيهَا: أنَّ الأشهادَ تُقامُ فيه، كما قال سُبحانه: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ۝٥١﴾ [غافر: 51].

ثالثُها: أنَّه يُقَامُ فِيهِ الْعَدْلُ، كما قال اللّه ﷻ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ [الأنبياء: 47].

وفي التَّعبير بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ في قَوْلِه تَعَالى: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِۚ﴾ دُونَ الْيَوْمِ الآخِرِ؛ إشعارٌ بِهَوْلِ القيامِ من القبورِ وعظيمِ قُدرَةِ اللّه تعالى في ذلك الإخراجِ، وفيه إيماءٌ أيضًا إلى الْحِسَابِ الكائِنِ فيه، فَاختيارِ هذا الاسمِ بمنزلَةِ الكنايَةِ عن المَعْنَى الذي يصلُحُ له هذا الوصفُ.

دِلَالَةُ التَّاءِ فِي لَفْظِ ﴿ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾:

الْقِيَامُ لِلْحَشْرِ قِيَامٌ لِأَعْظَمِ الْأَهْوَالِ وَأَشَدِّهَا

التّاءُ في لفظ ﴿ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ تدلُّ على المُبَالَغَة، وسببُ لُحُوقِها لفظَ ﴿ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ أَنَّهُ لَمّا كان آخرُ مَظْهَر من مظاهر دُنْيا النّاس أنّهم يَمُوتُونَ وَيُدْخَلُونَ إِلَى قُبُورِهِمْ، وَكانَ القيامُ لِلْحَشْرِ من أذلِّ حالٍ وأضعفِها إلى أشدِّ الأهوالِ وأَعْظَمِها؛ لَحِقَتْهُ تاءُ المبالغة لعظمَةِ هذا القيام، لِكَثْرَةِ أفرادِهِ في ذَلِكَ ٱلْيَوْمِ[1]، ولأنّه يكونُ على دَفْعَةٍ واحدةٍ لكلِّ أهلِ المَحْشَرِ إلَّا ما وردَ الدَّليلُ بسَبْقِ قِيامِهِ، كما جاء في الحديث أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: "أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ"[2].

بَلَاغَةُ الِاسْتِفْهَامِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾:

لَا أَحَدَ يُسَاوِي صِدْقُهُ صِدْقَ اللهِ تَعَالَى، فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ أَصْدَقَ مِنْهُ

قولُ اللّهِ تعالَى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ معطوفٌ على المعنَى، كأنَّه قيلَ: ومنْ أعظمُ من اللّهِ تعالى قدرةً، ومَن أصدقُ مِنَ اللّهِ سُبحانَهُ حديثًا.

و﴿وَمَنْ﴾ استفهاميَّةٌ، والاستفهامُ إنكاريٌّ بِمَعْنَى النّفي، ومعناه تقريرُ الخبرِ علَى مَعْنَى الإنكار[3]، واستيعابُ النّفي لكلِّ أنواعِ الحديث؛ لِدِلالة ﴿حَدِيثًا﴾ على العموم؛ إذْ إنَّ ﴿حَدِيثًا﴾ نكرةٌ في سياقِ النَّفي، والمعْنَى: لا أحَدَ أصدقُ مِنَ اللّهِ تعالى في كلِّ أنواعِ الحديث؛ لِيشملَ هذا الأسلوبُ نفيَ الأصدقِ مِنَ اللّهِ حديثًا، والمساوي لِصدقِه تعَالى، ولو وردَ النَّظْمُ: (لا أصدقَ مِنَ اللّهِ في حَدِيثِه)؛ لَاقْتَضَى نَفْيَ ٱلْأَصْدَقِ فَحسبُ[4].

نُكْتَةُ وَضْعِ الْمُظْهَرِ مَوْضِعَ الْمُضْمَرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾:

ذُكِرَ الاسمُ الأحسنُ ﴿ٱللَّهِ﴾ في قَوْلِه: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/88، وأبو حيّان، البحر المحيط: 4/7، والشعراوي، تفسير الشعراوي: 4/2507.
(2) مسلم (2278).
(3) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/88، والرازي، مفاتيح الغيب: 10/167.
(4) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/433.

حَدِيثًا﴾، وكان مقتضَى الظَّاهر الإضمارَ، فيأتي النَّظْمُ القرآنيُّ: (ومَنْ أَصدقُ مِنهُ حَديثًا)؛ ليكون على نَسَقِ الضَّمير في قولِه: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ العائدِ على (الله) في قولِه قبلُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، ونُكْتَةُ الإظهَارِ كونُ الألوهيَّةِ دالَّةً على علَّةِ الحكم بأصدقيَّةِ حديثِ اللهِ تعالى، والمعنى: لأنّه حَديثُ اللهِ تعالَى؛ فلا أَحَدَ أصدقُ مِنْه حَديثًا؛ "لأنَّ دخولَ الكذبِ في حديثِ البشرِ إنَّما علَّتُه الخوفُ والرَّجاءُ أو سوءُ السّجيَّةِ، وهذهِ منفيَّةٌ في حقِّ اللهِ تعالى"[1]؛ لأنَّ اللهَ سُبحانَهُ غَنيٌّ عنِ العالَمينَ، فأُقيم الاسمُ الظَّاهرُ ﴿ٱللَّهِ﴾ مقامَ الضَّمير؛ للإيذان بأنّ مقتضى الألوهيةِ عدمُ جوازِ الكذبِ مِن اللهِ تعالى؛ فإنَّكُمْ تَقبَلُونَ حَديثَ بَعضِكُم مِنْ بَعضٍ مَعَ احتِمَالِ صِدقِهِ وكَذِبِهِ، فَأَن تَقبَلُوا حَديثَ مَن يَستَحِيلُ عَلَيهِ الكَذِبُ في كُلِّ مَا أَخبَرَكُمْ بِهِ مِن طَرِيقِ الأَولَى[2].

التَّصْرِيحُ بِالِاسْمِ الْأَحْسَنِ (اللهِ) مُشْعِرٌ بِالْهَيْبَةِ مُؤَكِّدٌ الصِّدْقَ

دِلَالَةُ اسْمِ التَّفْضِيلِ ﴿أَصْدَقُ﴾ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾:

اسمُ التَّفضيلِ ﴿أَصْدَقُ﴾ من قولِ اللهِ سُبحانهُ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ يجُوزُ أنْ يَكُونَ على بابِهِ في المفاضَلَةِ في أصلِ صِدْقِ الكلام، وفي ذلكَ تَوْجيهَانِ:

كَمَالُ عِلْمِ اللهِ تَعَالَى بِمَا يَحْتَاجُهُ الْمُخَاطَبُونَ وَبِمَا يَنْفَعُهُمْ فِي حَالِهِمْ وَمَآلِهِمْ

أَحَدُهُما: أنَّ مَنْ كانَ كلامُه على قدرِ حاجةِ المُخاطَبِ، وبما ينفعُه في حالِه ومآلِه: أَصدقُ لِلْمُخَاطَبِ ممّن لا يُرَاعِي هذهِ الحالَ؛ لمطابقَةِ كلامِهِ أحوالَ المُخَاطَبينَ، وكونِهِ موافقًا لِلاعْتِبَارِ المُنَاسبِ لَهم، وليسَ مِنْ كلامِ أصدق مِنْ كلامِ اللهِ تعالَى في هذهِ الحالِ؛ لِعِلْمِه سُبحانَهُ بِمَا يحتاجُه المخاطبونَ، وما ينفعُهُم في حالِهم ومآلِهم.

والآخَرُ: أنَّ الصِّدقَ مِنْ صفةِ القائلِ لا مِنْ صِفَةِ القولِ، والقائلُونَ

(1) ابن عطيّة، المحرر الوجيز: 2/88.
(2) أبو حيان، البحر المحيط: 4/7.

إذا اعتبَرُوا بِأَقْوَالِهم، فمِنْهُم مَنْ يكونُ صدقُه في أحاديثه أكثرَ، فكأنَّه قيلَ: إذا اعتبرَ الصَّادقون في أقوالِهم، فليسَ فيهم أكثرُ صِدقًا منَ اللّٰهِ تعالَى؛ فإنَّه لا يقعُ في خبرِه كَذِبٌ بوجهٍ[1].

ويحتملُ أفعلُ التَّفضيلِ هنا أنْ لا يكونَ للمفاضلةِ وللتَّمييزِ بينَ كلامٍ صادقٍ وكلامٍ أصدقَ، فإنّ ما كان صِدْقًا مِنَ الحديثِ لا يَتضاربُ؛ فيكونَ مِنْ بعضِ قائليه أكثرَ صِدْقًا مِنْ قائلٍ آخرَ، ولكنْ لِنعرفَ أنَّ كلامَ اللّٰهِ لنا كثيرٌ، فالتَّكثيرُ هنا إنَّما يَجيءُ مِنْ جهةِ كثرةِ الكلامِ، لا مِنْ جهةِ أنَّ هناك كلامًا صادقًا وكلامًا أصدقَ[2].

وهذهِ الوجوهُ غيرُ متعارضَةٍ ولا متضارِبَةٍ، بلْ كُلّها صَحِيحَةٌ اجْتِمَاعًا وانْفِرَادًا، وهي مِنْ وجوهِ الإعجازِ البيانيِّ في القرآنِ الكريمِ.

دِلَالَةُ بِنَاءِ الْجُمْلَةِ عَلَى التَّمْيِيزِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾:

جاءَ قولُ اللّٰهِ تَعَالَى: ﴿حَدِيثًا﴾ تَمييزًا لِلنِّسبَةِ المفهومَةِ مِنْ قولِه: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ﴾، فهو تفسيرٌ للإبهامِ المضمّنِ فيهِ، فلو لم يُذكَرْ؛ لَاحتملَ الكلامُ أنْ يكونَ بمعنى: ومَنْ أَصدقُ مِنَ اللّٰهِ فِعلًا أو حَديثًا أو غيرَهما، فقُصِدَ الإبهامُ أوَّلًا، ثُمَّ جيءَ بالتَّمييزِ إيضاحًا لذلك الإبهامِ؛ لِغرضِ الإبرازِ في صُورَتَيْنِ: مُبْهَمَةٍ ومُفَصَّلَةٍ؛ لِيَتَمَكّنَ الْكَلَامُ فِي النَّفسِ فَضْلَ تمكّنٍ، ولِتكمُلَ لذّةُ العلمِ به[3]، ولِاستدرارِ ذهنِ المخاطَبِ لِتلقّي الكلامِ بتمامِه لتشوّقِه إلى تَفْسِيرِ الْإِبْهَامِ.

تَمْكِينُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ لِمُهِمَّاتِ الْمَعَانِي فِي نُفُوسِ الْمُخَاطَبِينَ

بَلَاغَةُ التَّذْيِيلِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾:

جاءَ قولُه تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ على طَريقةِ الإطْنَابِ بالتَّذييلِ، عَقِبَ إخبارِ اللّٰهِ تعالى بتوحيدِه، وأنَّهُ يجمعُ النَّاسَ إلى يومِ الْقِيَامَةِ؛ لِتكونَ جملةُ التَّذييلِ تأكيدًا لمنطوقِ ما أَخبرَ اللّٰهُ بِهِ

مِنْ تَذْيِيلَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مَا يَجْرِي مَجْرَى الْأَمْثَالِ

(1) الرَّاغب، تفسير الراغب: 3/1373.
(2) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 4/2509.
(3) السبكي، عروس الأفراح: 1/605، 610.

في هذهِ الآيةِ، فيزدادُ المعنى انشراحًا واتّضاحًا، وورد الاسْمُ الأحسَنُ ﴿ٱللَّهِ﴾ ظَاهرًا غيرَ مضمَرٍ؛ ليُشعِرَ بعليّةِ الحكمِ - كما تقدّمَ - ، ولِتَخْرُجَ جملةُ التَّذييلِ مخرجَ المَثَلِ المستقلِّ بنفسه، فيُمْكِنُ اقتطاعُها، والتحدُّثُ بها؛ فتكون كالمثَلِ يَجْرِي بينَ النَّاسِ.

تَوْجِيهُ الْمُتَشَابِهِ اللَّفْظِيِّ بَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ وَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّـهِ قِيلًا﴾:

دِقَّـــةُ اخْـتِـيَـارِ الْأَلْفَاظِ الْقُرْآنِيَّةِ الْمُـنَـاسِـبَـةِ لِسِيَاقَاتِهَا

جاء في هذهِ الآيةِ قولُ اللهِ تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾، وجاءَ في موضعٍ آخرَ مِنَ السُّورةِ نفسِها قولُه سُبحانَهُ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ [النّساء: 122]، ونكتةُ المغايَرةِ بينَهُمَا أنّ الآيةَ الأولى سُبقَتْ بقولِهِ ﷻ: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، ففيها إخبارٌ عن توحيدِ اللهِ تعالَى، وحديثٌ عنِ البعثِ بعدَ الموتِ وجَمْعِ الخلقِ لحسابِهم ومُجَازاتِهم على الخيرِ والشَّرِّ، فهو إخبارٌ، والحديثُ يَرِدُ بمعنَى الإخبارِ؛ فكان الأنسب التَّعبير بالحديث في فاصلَةِ الآيةِ، بخلافِ الموضعِ الآخرَ، فقد سُبِقَ بقولِهِ جلَّ وعلا: ﴿سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [النساء: 57]، فَفِي الآيةِ ذِكْرُ مَا وعدَ اللهُ تعالَى بهِ المؤمنين مِنَ النَّعيمِ وعظيمِ الإحسانِ. والقيلُ هُنَا: بِمَعْنَى القولِ، وهو مناسبٌ لِمَعْنَى الوعدِ؛ إذِ الوعدُ يَكُونُ بالقولِ لا بالْخَبَرِ، وزادَهُ مناسبةً ما ذَكَرَهُ ابنُ الزُّبيرِ الغرناطيُّ في مناسبةِ ﴿قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ [النساء: 122]؛ إذْ قال: (فجِيءَ بلفظٍ يوازنُ المصدرَ عَن قبلِه، وهُمَا ﴿وَعْدَ﴾ [النساء: 122] و﴿حَقًّا﴾ [النساء: 122][1]، ويشابِهُهُما في الخفَّةِ، فسكونُ عينِ الكلمةِ، وعددُ حروفِها كالمصدرين قبلَها، وكأنَّه إنَّما أُريدَ تكرارُ المصدرِ بلفظِه فاستُثْقِلَ التَّكرارُ لِلتَّقارُبِ، وعادةُ العربِ في ذلك، فعدَلَ إلى ما يُجاريه، ويُحرزُ المعنى، ولِتَجْرِيَ المصادرُ الثَّلاثةُ مَجْرَىً واحدًا خِفَّةً ووزنًا إحرازًا لِلتَّناسُبِ والتَّلاؤُمِ)[2].

(1) في المَطْبُوع: (وعدًا وحقًّا)، والأصحُّ ما أُثبتَ ههنا، لأنَّ الكلام عن قولِه سُبحانه: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾، ولا وجهَ لنصب: (وعدًا) منوَّنةً.
(2) ابن الزبير، ملاك التأويل: 1/108.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع، سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 7 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-59-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 7 : سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-59-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5066600 بتاريخ 2023/03/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»